„Al-Mustaqbal" 23.02.2000

مسرح «رطوبة» لـ «تشيك مدزيك» على مسرح المدينة:

أروقة الرأس

● من العرض (وائل حمزة)

تختصر مساحة صالة المسرح في عرض لتشيك مدزيك «رطوبة» الى الصفوف الامامية الأولى ويحاط المتة متفرج تقريباً بستائر سوداء في اختيار أولي يسبق العرض ويمهد له. فيتحول المسرح حجرة فعلية، ويخرج المشاهد من موقع المتفرج الكلاسيكي الى جزء من سينوغرافيا الخشبة التي تمتد لتطاوله ليس كشريك في العمل وحسب، بل كمخرج له على حد سواء. فالصور المتتالية والمتسلسلة على الخشبة، والاثر السيكولوجي الذي تلعبه الموسيقى التصويرية من جهة، والاضاءة المتأرجحة بين عتمة كثيفة واخرى متدرجة، من جهة ثانية، كل هذا يحتاج الى ناظم ما، سرعان ما تكتشف انه يجد مرجعه عند كل متفرج. المشاهد يتورط في العمل، ويصبح جزءاً من «الرطوبة» التي تحيط به، والرطوبة ليست هذه المرة خارجية، وان احتاجت الى المؤثرات الخارجية التي ذكرناها، بل هي داخلية، في عمل لا تجد له خشبة موازية، سوى الرأس البشري نفسه، وما يتدافع عليه، في ملابقته الأعمق من صور كابوسية قاتمة.

الرأس في العلبة والقناع الذي سرعان ما يتمزق ليظهر الوجه ثم يتوارى مجدداً، ليس وجهاً واحداً، بل وجوه عدة، في تقلبات الضوء عليه، والموسيقى تنقله، في جماده وحضوره الأصم الى آخر. وكأن المعادلة المسرحية هنا تقوم على البحث عن الاحتمالات المفتوحة للحظة الساكنة، والمتروكة لفعل «مونتاجي ذهني من المتفرج / المخرج. وهي لحظة تتحول حسية شيئاً فشيئاً، وتروح وتبرتها تتصاعد او تخفت، كأن المشهد لون واحد (أسود غالباً) يتم التنويع عليه، بإدخال سوائل الوان اخرى، واختيار النتائج الكيميائي لهذه العملية.

غياب الممثل

يغيب الممثل في «رطوبة» وهذا طبيعي، بل هو في أساس العمل، وفي اقتراحه النظري لمسرح ينفي الممثل ومعه النص لصالح الرؤية الإخراجية السينوغرافية فقط. الممثل هنا هو جزء من المشهد، ولا يختلف حضوره كأداة عن الظلال المتولدة على الستارة، او عن الأرجل والأعضاء الخشبية وغيرها، من مواد أولية.

ولا يهم مثلاً ان تكون الجثة التي تتقطر دماً في المشهد الختامي، لممثل فعلي ام لمجسم خشبي، فالهيئة هي المطلوبة ولا أحد يطلب في أي حال من جثة ان تمثل.

الأحاسيس او لنقل مجدداً الانطباعات هي الأساس وليس الأفكار او المعاني او الايحاءات المباشرة، كذلك نجد أكياس الخيش في أحد المشاهد تؤدي حركات بشرية، في شرح مستفيض او زائد او مقحم للفكرة نفسها، وكأن المخرج يريد ان يقول في نهاية الأمر ان «الأشياء» تستطيع تأدية ما تعجز الأجسام البشرية عنه وبشكل أفضل أحياناً، فليست في حاجة الى ممثل لقول ما لا يقال، او فعل ما لا يفعل، سوى في أروقة الرأس وصوره العصية على التفسير.

في «رطوبة» سعي مستبطن لاختزال الكلمات الى كائنات، والى تكثيفها الى حد الغياب، فيبدو كل مشهد من العرض كأنه قصيدة تُهمس في الهواء، او كأنه السعي المستحيل الى الامساك باللحظة التي تولد منها القصائد.

سامر أبو هواش

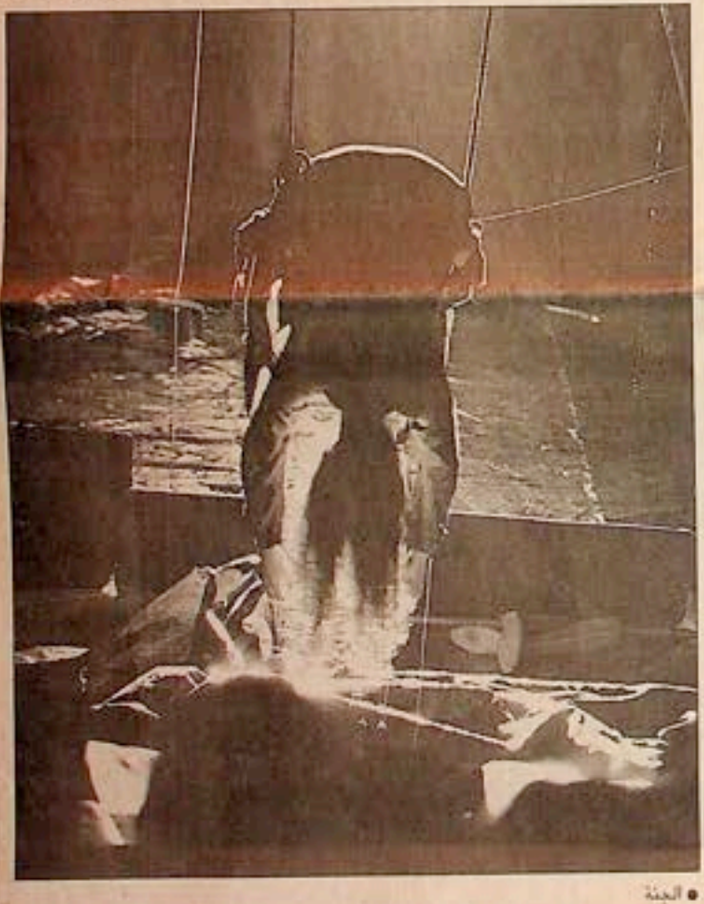

● الجثة